حوارية بعنوان :

القرآن وأنا : تأملات ذاتية

زووم:

الأربعاء 5 مايو 2021

بمناسبة شهر رمضان المبارك اختارت الباحثات أن يدور هذا اللقاء حول تأملات وانفعالات ذاتية/نسوية في آية/آيات من القرآن الكريم.

هي محاولة لاقتراب مغاير من القرآن الكريم تعبر بصدق عن خبرة شخصية خاصة جدا مع آية/آيات من القرآن  مثلت بالنسبة لكل منا ما قد نعتبره   paradigm shift

في عقلها ورؤيتها للاشياء كامرأة أو رؤيتها لقضية المرأة نفسها.

د.أماني صالح:

هل يقول القرآن جديدا عما عرفناه ونعرفه؟هل

يجيب على أسئلة أبناء هذا العصر وقادم العصور؟

   أسئلة سألتها لنفسي كما سألها كثيرون ممن يحبون الله ويثقون في الإسلام فيطرحون عليه مشكلاتهم  دون وجل  في مواجهة أولئك الذين يحمون الإسلام بالمنع والحظر ساترين ما يحمله ذلك من خوف كامن وانعدام ثقة مستتر وتغطية  على ما يظنونه عورات.

أجيب على السؤال بنعم .. ولكن مع تعديل أساسي في الصيغة .. فالجدة والجديد ليس على الله سبحانه وتعالى صاحب الكون، أزلي الوجود.. وإنما الجدة تكون على الإنسان الفاني الناقص الطامع في استكمال القوة والعلم عبر أجياله المتعاقبة وعلومه المتراكمة وإدراكاته المتغيرة. فكم من آية من آيات القرآن استغلقت عليها ادراكات السابقين  وعجزوا عن استقبال مدلولاتها فظلت حبيسة دفة المصحف تتلى دون تفسير أو تفعيل .. ثم صارت عند أجيال بعدهم بؤرة الإدراك ومحور الإجابة والحل لمعضلاتهم فأطلقت دلالاتها الحبيسة وتمددت  لتملأ الأفق.

قد يكون عدم استيعاب جيل لمعان معينة مرده الحالة التاريخية الراهنة لعلوم هذا الجيل بالكون والسنن وهو عجز لا يستطيعون تجاوزه... ولكن قد ياتي استغلاق الفهم – وهذه هي الكارثة- من الإستسلام لسيطرة وهيمنة أفكار سائدة متوارثة تسد أبواب السؤال ذاته ومسعى الإجابة وتحول دون إدراك المعاني حتى الظاهر الواضح المباشر منها مما يتعارض مع الفكرة السائدة التي تتحول الى طاغوت .. بل قد تصل هيمنة الأفكار السائدة الى ما هو أسوأ عندما تدفع الناس الى تحويل المعنى الى عكس مراده عبر سلسلة من الإجراءات المنطقية والقياسات الاستدلالية.

 فلنفتح عقولنا ولنصخ أسماعنا لصوت القرآن الكريم وهو يرد على اسئلتنا الحائرة ..لنسمع صوت إجابته كما يريد هو لا كما فسره السابقون في حدود تاريخهم ومشكلاتهم.. لنفعل ذلك حتى لا نستورد مع تلك الإجابات الموروثة مشكلات عصور سابقة ونغترب عن زماننا وأسئلته ومشكلاته الحقيقة ..

لنفعل ذلك كي نسمع صوت القرآن يجيب علينا.. كي نحيي علاقته بالإنسان وبزماننا ونجد إجاباته لمشكلاتنا، كي نحيي إيماننا  وثقتنا في أنفسنا وديننا.

أنا أجزم أن هذا الاقتراب كفيل بطرح نظرات جديدة لقضية الإنسان والمجتمع ، لعلاقتنا بالعالم والكون للعلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب لوضع  النساء ولعلاقة الدين بالسياسة .. ولسائر القضايا الحرجة التي يحفل بها زماننا

لقد كان هذا اقترابنا منذ بدأنا التفكير في قضية المراة بل هو الحل الوحيد لذلك الحرج الذي أورثه لنا تراث السلف في علاقة الإسلام بالمرأة . وهي مسألة تحتاج الى إعادة نظر شاملة لكل جهود التفسير المتعلقة بقضية المرأة على المستوى الإنساني والاجتماعي نزولا الى الأحكام .. وهو جهد يستغرق أجيالا على أقل تقدير لمراجعة عمل أجيال أخرى حكمتها فكرة سائدة قوامها دونية المرأة وأفضلية الرجل وحتمية التمييز..

لنقف سريعا عند نقطة مبدئية هى الوضع الإنساني للنساءمن خلال ثلاث آيات حاكمة لم تكن أبداً موضع اهتمام  كغيرها في هذا المقام.

يقول رب العزة:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13الحجرات)

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ ( هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (195)آل عمران

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ

سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72)التوبة

كيف نفهم تلك الآيات؟ وكيف نستدل منها على الموقف الإنسان عامة والنساء خاصة ، ورؤية الخالق لهذا الجنس في ذاته وعلاقته بخالقه وموقعه قياسا بشركائه في الحياة؟

أول ما يلفتنا أن ما يجمع بين الآيات الثلاث أنها آيات عامة تقر قواعدا كلية شمولية لا تخص آحاداً بعينهم .

الآية الأولى تتعلق بقضية الإنسان عامة . والآية الثانية  ( كما يفهم من سياقها) تتعلق بالمؤمنين في كل زمان ومكان على اختلاف مللهم وشرائعهم  ممن أسماهم الله تعالى في محكمه  ب"أولي الألباب" ، أما  الآية الثالثة فتتعلق  بالمؤمنين ( المسلمين) .

هذه العمومية التي يرى البعض أنها مضعفة  لحاكمية الآيات أمام خصوصية آيات الأحكام بينما  نرى تلك العمومية تقوى وترفع من قيمة وسلطة  الآيات لأنها تخص الرؤية الوجودية ورؤية العالم  التى تندرج في سياقها  قضايا الوجود مثل علاقة الخالق بالمخلوق ووظيفة الإنسان وقضية الإيمان والموقف من الحياة والرسل والغيب ثم يأتي في سياقها أيضا طبيعة علاقة الإنسان بالإنسان والمؤمن بالمؤمن .. إنها آيات حاكمة تقر قواعد حاكمة تصيغ الرؤية العامة والنظرة الوجودية للمسلمين والتي تندرج تحتها وتصطبغ بها وتدور في إطارها وتتشكل بها القضايا الاجتماعية والفئوية والشعائر  .. وبغير هذه الرؤية الإطارية العامة تضل كل القضايا وتنحرف عن سياقها.

فما هي القواعد العليا التي يرى الخالق جل وعلى أنها تحكم  العلاقات الإنسان البينية  في صورتها المثلى ( كما يحب ربنا ويرضى) ؟

يمكن القول أنها تقوم في مستوياتها الثلاثة ( الإنساني ، الإيماني ثم المسلم )على قاعدتين:

الأولى هي المساواة  في نظرة الخالق الى الإنسان بنوعيه دون ادنى درجة من التمييز . مساواة لا تجبها قاعدة التنوع البشري بين ذكر وأنثى بل يدعم هذا التنوع من قيمة المساواة ويعلي من شأنها فالمساوة لا تثار كقضية بين المتشابهين.

   تتجلى المساواة في العديد من الأبعاد : أولها تأكيد وحدة الانتماء رغم التنوع . إنتماء  لبوتقة الإنسانية أو بوتقة الإيمان أو بوتقة الإسلام. الثاني هي وحدة أسس التقييم والحساب وقواعده فكلها تتعلق بالإيمان والفعل " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " فالإنسان عند الله هو "عامل" بالمعنى المحايد أيا كان نوعه ( لأ أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى" والعمل الذي يجزى عليه الإثنان واحد .. إنه الجهاد في الله " الأمر بالمعروف ، النهي عن المنكر، إيقام الصلاة ، إيتاء الزكاة. ..وأخيرا هناك وحدة

الجزاء دون تمييز   ( الجنة ورضوان الخالق)

في الجملة فإن قاعدة التمييز من قريب أو بعيد تنتفي في حسبان الرب تماما ولا تشتم رائحتها من قريب أو بعيد في الرؤية والتقدير الإلهي للإنسان كما تقره هذه الآيات الحاكمة.

القاعدة الثانية  التي يقرها النموذج الإلهي للإنسان هي قاعدة التعاون والتضافر والتآلف  وليس الصراع والتناقض والاشتباك. فقد اراد الله وهو الكمال والخير المطلق أن تقوم علاقة الإنسان على تنوعه على التعارف وأن يتجاوز الإنسان ويعلو على الفواصل التى ولدتها الجغرافيا والتاريخ  بين الشعوب والجماعات لينسج بإرادته قيم التعارف والارتباط.

وفي الشأن النوعي المتعلق بأحد أحد الانقسامات الرأسية للإنسان وهو الانقسام بين الذكر والأنثى يؤكد الخالق أن عمق النظرة لهذا الانقسام تقود الى تأكيد مفهوم الانتماء والتقارب والتضافر ما عبر عنه

بقوله "بعضكم من بعض" : فالذكر ولد من الأنثى والأنثى ولدت من الذكر وحكمة التنوع هو التواصل و الانتماء وليس الانفصال والانقطاع .

بل إن الخالق يمضي الى أبعد من ذلك في تحديد طبيعة ومعنى التضامن والتعارف على مستوى حماعة المسلمين  فهو لا يحددها باعتمادية جنس على جنس أو مسئولية جنس عن جنس أو سلطان جنس على جنس بل يحددها ويصفها في الولاية المشتركة بين الإثنين  على قدم المساواة دون تقديم جنس على جنس ولو بدرجة " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض " .. إن سطوع قيمة التسوية كأساس للتضافر بين المسلمين بنوعيهم وإن لم يستقبله السلف كفكرة حول طبيعة علاقات النوع إلا إن المفسرين عندما وقفوا عند التفسير اللفظي المباشر لتلك الآية الناصعة لم يجدوا من تعبيرات سوى  : " أن المسلمين بعضهم أنصار بعض وأعوانهم" " يتناصرون ويتعاضدون" (ابن كثير)  وأن  " قلوبهم متحدة على التواد والتحاب والتعاطف " (القرطبي) " اتفاق الكلمة والعون والنصرة" ( البغوي) " المحبة

والموالاة والانتماء والنصرة " ( السعدي.

       والخلاصة أن  أن القرآن الكريم يطرح قاعدتي "المساواة الإنسانية" و"التعاون والتضافر"  كأسس إسلامية للعلاقات الإنسانية ، بما يستدعي ضرورة إعلاء وتعميم تلك القواعد كتعبير عن موقف الإسلام اولا (بدلا من قيم الصراع الحتمي وانقسام دار اللإسلام والحرب) ..  كما يتطلب ذلك أيضا تفعيل وتنزيل دلالتهما العامة على سائر الأحكام الخاصة .. وفي كلمات مختصرة مثل تلك المعاني يجب إن يتم إطلاق سراح دلالاتها خارج نطاق التفسير اللفظي اللغوي لتحظى بما تستحق من أهمية وقيمة عليا وسلطة في بناء النظرة الإسلامية العامة للكون وللإنسان ولتحرير العلاقة بين الاختلاف والخلاف في بناء عالمنا.

د.هند مصطفى

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (البقرة: 74)

سأتكلم عن هذه الآية بشكل خاص.

هي لا تتحدث عن النساء لكنها تتحدث عن القلوب وهو حديث يهم النساء.

دائما كان يلفتني ويؤرقني هذا اللوم الإلهي للناس...الناس الذين تذهب بهم القسوة مذهبها فيفشلون في أن يكونوا حتى مثل الحجارة التي يخرج منها الماء بالنفع للناس....

بقدر ما كان المعنى يستوقفني، فإن نظم الآية نفسها والمثال الذي ساقه الخطاب القرآني كان يستوقفني بالمثل ...استشعر اللين في الخطاب، لين ليس مبعثه

فقط ذلك اللوم الهاديء غير المقترن بوعيد عدا قوله تعالى (وما الله بغافل) والذي أراه  تعبيرا عن الأسى أكثر منه وعيد.... بل مبعثه كذلك الاهتمام الإلهي بهذا الكائن غير الملتفت اليه (الحجارة) والمتهم بالقسوة فيما هو يرق أيضا ويلين ..يرق للناس بالماء ويرق لله بالخشية.

عندما قرأت عن قسوة القلب كما وردت في القرآن.. وجدت أنها تعبر عن الجمود والصد والجفاف ، القلب القاسي قلب لا يستجيب للآيات التي تعرض عليه ولا يستوعبها وهو فوق ذلك مؤذ/مريض لا يقدم الخير. وهو لعنة على صاحبه نفسه.

القرآن يقرر أن الإيمان لا يجتمع  مع قسوة القلب.

فيقرن قسوة القلب تارة بنقض الميثاق وتارة بهجر الذكر وتارة بفتنة الشيطان...

فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً (المائدة: 13)

لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴿ الحج: 53﴾

• فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴿ الزمر:22﴾

• فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴿ الحديد:16﴾

الأمر لا يتوقف عند هذا الحد، بل وكأن الإيمان نفسه هو اللين، هو عكس كل ما تمثله القسوة ...يبدو الأمر واضحا جدا عندما نقرأ بمنظور جديد قوله تعالى:

لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (الحشر:21)

إن القرآن -الرسالة الإسلامية- عندما يتنزل على متلقي منفتح له، متلقي بريء مثل الجبل بلا تحيزات مسبقة، فإنه -أي القرآن -يحول حتى أشد السياقات قساوة- إلى حالة من اللين المقترن بالخشوع لله.

المعنى يكرر بعضا مما حملته الآية 74 من سورة البقرة (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ

أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً...)

التي - كما رأينا- لامت أصحاب القلوب القاسية ، القلوب المغلقة (عن استيعاب الرسالة الالهية)  ...الجامدة... التي لاتقدم الخير (مثل الحجر الذي يقدم الماء)  المتكبرة (عن الرفق واللين المقترن بالخوف من الله).

والحقيقة فإن هذا يتفق بديهيا مع الفكرة الأصلية المقترنة بإرسال الانبياء. النبي لم يكن فحسب هاديا بل كان في ذاته ممثلا لقيمة (الرحمة)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 107].

 ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ [مريم: 21].

وبالمثل، لا يمكن أن تكون القسوة وسيلة لحمل الناس على الايمان. بل إن اللين والرحمة هما الوسيلة المختارة. مرة أخرى كان القرآن صريحا في تقرير ذلك.

( فَبِما رَحمةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهم ولَو كُنتَ فَظَّاً غَليظَ القلب لانفضُّوا مِن حَولِكَ) (آل عمران 159).

وهنا (اللين) كفكرة عامة فصلها القرآن حين عدد: فاعفُ عَنهُم واستَغفِر لَهم وشَاوِرهُم في الاَمرِ.

والرحمة هي واحدة من ثلاث قيم أساسية حض الخطاب القرآن جمهور المؤمنين على أن يوصوا بها بعضهم البعض (الحق، الصبر، الرحمة) ..فكما قال في سورة العصر

• إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣ العصر﴾

• قال في سورة البلد: ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧ البلد﴾

من الأمثلة  المهمة في هذا السياق.. هو الكيفية التي حول بها الإيمان رجلا جبارا مثل عمر بن الخطاب لشخص يلين حد البكاء في مواقف كثيرة...

الخدعة في سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والتي خدعت بها أنا شخصيا في طفولتي

ومراهقتي- أن تنقل لنا الروايات أنه كان يرق ويحزن فقط خوفا على نفسه من النار،

أذكر أنني قلت لوالدي ذات مرة أنني أحب أبا بكر ولا أحب عمر...فلما سألني عن السبب قلت لأن عمر كان أنانيا ... فقط يخشي على نفسه من النار .. وهذا هو الدافع الوحيد لسائر أفعاله...

ذهل والدي وظل يعدد مآثر عمر وكيف كانت لديه شفافية للعلم بأشياء تحدث في غير مكانه... وكيف أن الله كان يؤكد على كلامه في غير موقف...

ولم أتأثر...

لزم الأمر سنوات كثيرة لأفهم أنني سقطت ضحية (الخطاب عن عمر) .. وجهة نظر الراوي ولغته ورؤيته للأمور ...

قصص كثيرة توردها الكتب عن بكاء عمر  وتفسر ذلك بخوفه على نفسه من عقاب الله...

الآن يتضح لي أن هذه لم تكن الصورة كاملة.

لقد فعل الإيمان بقلب عمر ما فعله مع الجبل بالظبط، فبات يرق،  ويعطف على الضعاف والمتألمين  ويحزن لحزنهم ويتألم لألمهم....فيبكي عندما يتذكر وجه الصغيرة التي وأدها ويبكي عندما يسمع صرخات الجياع ويبكي لرحيل أحبائه ويبكي إحساسا بالمسؤولية وحتى يبكي فرحا...

الحقيقة أن عمر  ببساطة رجل عرف الله فرق قلبه... وكان يفعل ما يفعل ليصلح المجتمع والناس .. في إطار من إيمانه بالله وخشوعه له...

اللين ورقة القلب والرحمة قيمة أساسية في المنظومة الإسلامية على عدة مستويات، ليست فقط أمرا أخلاقيا عاما إنما هي في لب التشريع..

دائما ما ترد لذهني الآية  8 من سورة النساء

وإذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا...

كيف نقرأ هذه الآية بكل ما تحمله من معاني اللين والرقة والرحمة بالمحتاجين وهي تتموضع داخل

باب قانوني/فقهي محكم هو فقه المواريث ؟

الأمر يحتاج إلى إعادة نظر بالتأكيد ...